﴿سورة الصمد﴾

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ما الفرق بين الأحد والواحد؟

كثيراً ما استوقفنى وأنا أقرأ سورة الصمد قول الله ﷻ: **﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ(١)﴾** وسألت نفسى عن سر التعبير بأحد بدلاً من واحد ، خاصة وأن التعبير الثانى قد ورد فى قوله ﷻ: **﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾** [١]. فما الفرق بين أحد وواحد؟ وهل هما اسمان أم صفتان؟ ولم ذكرت كل كلمة فى موضعها فى القرآن الكريم؟

والجواب:

أولاً: (أحد بمعنى واحد وأصل أحد "وحد" فأبدلت الهمزة من الواو المفتوحة كما أبدلت المضمومة في قولهم وجوه وأجوه ومن المكسورة في قولهم وشاح وإشاح ولم تبدل من المفتوحة إلا في حرفين أحد وأناة من قولهم امرأة أناة وأصلها وناة من الونى وهو الفتور) [٢].

ثانياً: أنكلا الاسمين من أسماء الله ﷻ الحسنى كما ورد فى القرآن الكريم وفى سنة النبى الأمين ﷺ فأما الاسم الأول (أحد) فقد ذكر فى القرآن الكريم فى هذا الموضع الذى نحن بصدده الآن من سورة الصمد، كما ذكر فى السنة النبوية فيما أخرجه ابن حبان من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول (اللَّهمَّ إِني أسألُكَ بأني أَشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ اللهُ، لا إلهَ إلا أنتَ، الأحَدُ الصَّمَدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكن له كُفُوا أحَدٌ، فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لقد سأل اللهَ باسمه الأَعظَمِ، الذي إِذا دُعِيَ به أجابَ، وإِذَا سُئِلَ بِهِ أعْطَى) [٣] .

---

(١) سورة النساء / من الآية ١٧١.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ص٤٨٢، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ط١، ١٩٩٢م .

(٣) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، ٣ / ١٧٤، ورقمه ٨٩٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ١٤١٤هـ.

وأما الاسم الثانى (واحد) فقد ورد فى عدة مواضع فى القرآن الكريم منها: فى قول الله تعالى: **﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ(٤٨)﴾**[2]وقوله تعالى:**﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)﴾**[3]

وقوله: **﴿ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾**[4]،وكذا فى قوله تعالى فى سورة ص: **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)﴾**[5] .

ثالثاً: أن (واحد) فى اللغة قد تأتى اسماً وقد تأتى صفة، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة.... قاصداً أسماء الأعداد، فتكون (واحد) عندئذ اسماً، أما إذا قلت: (جاء رجل واحد) فتكون عندئذ صفة للرجل، بيد أن لفظ (أحد) لا يوصف به أحد إلا الله ﷻ دون غيره، لارتباطه الوحدانية فلا يشرك معه فيه غيره، ولا يُنعت به غير الله تعالى، فتقول: (هو الله أحد)، ولا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد .

رابعاً: فى الفرق بين أحد وواحد وجوه ذكرها العلماء، منها :

- لا يوصف غير الله ﷻ بالأحدية فلا يقال رجل أحد ولا درهم أحد، بل يقال رجل واحد، فأحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيه شئ .
- الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد في النفي تقول في الإثبات (رأيت رجلاً واحداً) وتقول في النفي:(ما رأيت أحداً) فيفيد العموم.
- يتميز اسم (الأحد) بدلالة لا تتوافر فى (الواحد) حيث إن (أحد) تدل على الكيفية والماهية ، بينما تدل (واحد) على العدد .

---

(١) سورة النساء / من الآية ١٧١ .
(٢) سورة إبراهيم / الآية ٤٨ .
(٣) سورة النحل / الآية ٢٢ .
(٤) سورة الرعد / من الآية ١٦ .
(٥) سورة ص / من الآية ٦٥ .

خامساً: لم خصت (أحد) بالذكر هنا فى سورة الإخلاص دون (واحد)؟

لا بد أولاً أن نعلم أن كثيراً من المفسرين على أن اسم واحد هو بمعنى أحد، قال ابن عاشور – رحمه الله –: (أما "أَحَدٌ" فاسم بمعنى واحد. وأصل همزته الواو، فيقال: وحد كما يقال أحد، قلبت الواو همزة على غير قياس لأنها مفتوحة) [١] .

لكن قد يكون اسم (أحد) قد جاء فى هذه السورة المباركة بدلاً من (واحد) لأن (الأحد) لنفى التقسيم، و(الواحد) لنفى التعدد، فإذا قلت (أحد) فمعناه انفراد الله ﷻ بالألوهية، بخلاف واحد فمعناه نفى التعداد ووجود آلهة أخرى معه، ولعلنا إن أشرنا إلى سبب نزول هذه السورة فقد نعرفلم اختار القرآن الكريم اسم (الأحد) فى هذا الموضع دون الواحد ، فقد أورد أهل التفسير سبب نزولها، قالوا: (نزلت الآية جواباً لأهلالشرك لما قالوا لرسول الله ﷺ: صف لنا ربك، أمن ذهب هو أم من نحاس أم من صفر ؟ فقال الله عز وجل رداً عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾)[٢] .

ومعنى ذلك أن هذه السورة نزلت بياناً ورداً على سؤالهم عن صفة الله ﷻ لا عن عدد الأرباب فكان من المناسب أن يأتى الجواب بأنه ﷻ أحد لأنها تدل على نفى التقسيم، بدلاً من واحد التى تدل على نفى التعدد، والله تعالى أعلم .

سادساً: لا يفوتنى فى هذا الباب أن أسوق لطيفة ذكرها الصابونى فى تفسيره حيث قال: (هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت فى غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جل وعلا عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ(١)﴾، وأثبتت الثانية كماله تعالى، ونفت

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٥٣٧/٣٠، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م .

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ١١٠٦/٢، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م .

النقص والعجز ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ(٢)﴾،وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه، ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ(٣)﴾ وأثبتت الرابعة عظمته وجلال قدره، ونفت الأندادوالأضداد ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ (٤)﴾ فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال لله، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص والقبائح) [١] .

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢)﴾ ما معنى الصمد ؟

الجواب: قال ابن القاسم الأنبارى: (اسم من أسماء الله عز وجل وفي تفسيره ثلاثة أقوال: قال قوم: الصمد الذي لا يطعم كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾ [٢]، وقال السُّديّ: الصمد الذي لا جوفَ له، وقال أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم) [٣]، ومن أجمل ما قرأت فى هذا الباب قول الشنقيطى – رحمه الله – : (قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢)﴾ قال بعض المفسرين يفسره ما بعده أي: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ(٣)﴾، قال ابن كثير: (وهذا معنى حسن) [٤]، وهذا الكلام يتفق مع قول المفسرين عن معنى الصمد أنه الذى يلجأ إليه الناس، وهذا يستلزم استغناؤه عن خلقه، ومن كان والداً فقد يحتاج إلى ولده عند كبره ومن كان مولوداً فهو لا يستغنى عن والده فى صغره، أما ربنا جل وعلا فهو الصمد المستغنى عن سائر خلقه، وخلقه إليه محتاجون فهم يلدون ويولدون، أما ربنا الصمد فهولم يلد ولم يولد ولم يكن له من الناس شبيه ولا نظير .

---

(١) صفوة التفاسير، ٣ / ٥٣٧ .
(٢) سورة الأنعام / من الآية ١٤ .
(٣) الزاهر فى معانى كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنبارى ٧٩/١، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م .
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ١٥٠/٩، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م .

المسألة الثالثة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾ لم تقدم نفى شبهة ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ على ﴿لَمْ يُولَدْ﴾؟

الجواب: لعل الأمر فى ذلك راجع إلى أن أكثر من يشركون بالله ﷻ ينسبون له – جل وعلا – الولد كقول اليهود والنصارى عنه أن له ولداً، قال الله ﷻ عنهم: **﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾** (١)، وكقول المشركين عن الملائكة إنهم بنات الله، ولم يقل إن الله ﷻ مولود وله والد قد ولده إلا قلة قليلة لم يُسمع بهم فناسب أن تأتى **﴿لَمْ يَلِدْ﴾** نافية لشبهة نسبة الولد إليه مقدمة على **﴿لَمْ يُولَدْ﴾** وهى شبهة قليلة إذا ما قورنت بالأولى، من باب تقديم الأهم فالمهم .

---

(١) سورة التوبة / من الآية ٣٠ .